

الهدى النبوي في التعامل مع الأمراض الوبائية



إن الأوبئة من الأمراض التي عرفها الإنسان قديماً، وقد سعى الإنسان بما منحه الله من عقل وعلم لمكافحتها والتقليل من أخطارها، وطور الكثير من اللقاحات والإجراءات الطبية لاستئصالها.

والإسلام بتشريعاته وهدىه لا ينفصل عن حياة الناس وهمومهم وما يقلقهم، لذلك نجد يوجه الناس للتعامل مع جميع الحالات العادية منها والطارئة التي تستدعي تعاملًا خاصًا، ومن ذلك كيفية التعامل مع الأمراض الوبائية. وقد ورد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي توجه الأمة المسلمة للمنهج الصحيح في التعامل مع الأمراض الوبائية إذا أصابت الناس، أو عمت في بلد ما، لتصحيح الاعتقاد والمفاهيم، وبيان الطريقة المثلى في التعامل معها.

أصول عامة

لا يعدي شيء شيئاً

٢

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يعدي شيء شيئاً، لا يعدي شيء شيئاً»، ثلاثاً، قال: فقام أعرابي، فقال: يارسول الله، إن النقبة تكون بمشفر البعير، أو بعجبه، فتشتمل الإبل جرباً؟ قال: فسكت ساعة، ثم قال: "ما أعدى الأول؟ لا عدوى، ولا صفر، ولا هامة، خلق الله كل نفس، فكتب حياتها وموتها، ومصيباتها ورزقها" و "النقبة": أول شيء يظهر من الجرب. "مشفر البعير": المشفر للبعير كالشفة للإنسان. "بعجبه": العظم الذي أسفل الظهر. "فتشتمل الإبل": تعم الإبل.

رواه أحمد، والألباني في السلسلة الصحيحة



١

فلا تقدموا عليه

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما "أن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَرَجَ إِلَى الشَّامِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرَعٍ لَقِيَهِ أَمْرَاءُ الْأَجْنَادِ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّامِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَلَا تَرَى أَنَّ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَرَى أَنَّ تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الْأَنْصَارِ، فَدَعَوْهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هُنَا مِنْ مَشِيخَةِ فَرِيشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ، فَدَعَوْهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلَفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنَّ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقَدِّمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبَحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرَكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟! نَعَمْ نَفَرُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَإِدْيَا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خِصْبَةٌ، وَالْأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخِصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَعَبِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنْ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

"إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ - أَيِ الطَّاعُونَ - بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ". قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ عُمَرَ ثُمَّ انصَرَفَ. - سرغ: قرية بوادي تبوك في طريق الشام. رواه البخاري ومسلم.

الهدى النبوي في التعامل مع الأمراض الوبائية

من أعدى الأول

٥

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا عدوى"، فقام أعرابي فقال: أرأيت الإبل، تكون في الرمال أمثال الضباء، فيأتيها البعير الأجرى فتجرب؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: "فمن أعدى الأول؟"

لا يورد ممرض على مصح

٤

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يورد ممرض على مصح" رواه مسلم أي: لا يورد صاحب إبل ممرض إبله على الماء وقت ورود الإبل الصحاح، اتقاء للشر، وحتى لا تصاب الصحيحة بما أصيبت به المريضة.



لا عدوى ولا طيرة

٣

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من من الأسد" رواه البخاري في صحيحه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل»، قالوا: وما الفأل؟ قال: "كلمة طيبة» متفق عليه.

أولاً: إن مخالطة السليم للمريض أحد أسباب انتقال المرض، ولكنه ليس السبب الوحيد لذلك.

وذلك إبطالا لما كان يعتقد الناس في الجاهلية أن المرض يعدي بنفسه وينتقل من الصحيح إلى المريض بطبعه دون تقدير الله لذلك أو مشيئته، وذلك بمجرد المخالطة واعتبار ذلك المسبب الوحيد للإصابة بالمرض.

فجاء النهي في الحديث عن مثل هذا الاعتقاد الباطل في الإصابة بالمرض في قوله صلى الله عليه وسلم " : لا عدوى ولا طيرة . " فالمنهي عنه في الأحاديث التي تنفي العدوى يقصد منه النهي عن الاعتقاد الخاطيء في العدوى الذي يظن صاحبه ان الإصابة بالمرض تنتقل بطبيعتها وبذاتها من شخص لأخر بمجرد المخالطة. فقط يقرب الصحيح من المريض ولا يصيبه شيء وقد يقرب ويصاب، وقد يصاب ابتداء دون مخالطة أحد .

فمجرد مقاربة المريض أو القدوم على المحل الموبوء لا يلزم منه الإصابة بالمرض، لأن انتقال المرض بيد الله وحده.



اتخاذ الأسباب
مطلب شرعي

أولاً



لا عدوى ولا طيرة

ثانياً

ثانياً: في نهيه عليه الصلاة والسلام من اقتراب الصحيح من المجذوم إثبات للأسباب التي قد تفضي للمرض، فالمرض قد ينتقل من المريض إلى السليم إذا شاء الله ذلك وقدره، ولأن مشيئة الله التي يقدرها الله على عباده لا يعلمها الخلق جاء التحذير من اقتراب الصحيح من المجذوم من باب اتقاء الشر والأخذ بالأسباب التي قدرها الله سبحانه وتعالى بأنها تفضي إلى المرض، لا استقلالاً بطبيعتها.

ثالثاً

من أسباب حدوث
المرض

رابعاً

رابعاً: في الأحاديث منع أي شخص من دخول المناطق التي انتشر فيها نوع من الوباء، والاختلاط بأهلها، وكذلك يمنع أهل تلك المناطق من الخروج منها، سواء أكان الشخص مصاباً بهذا الوباء أم لا؛ وهذا التشريع الإسلامي هو ما يسمى اليوم طبياً بالحجر الصحي؛ لأن الشخص الذي يكون في مكان الوباء عند وقوعه وإن كان سليماً في الظاهر إلا أنه قد يكون حاملاً للمرض وهو لا يدري، غير أن آثار المرض لا تظهر عليه؛ لأن مناعته قوية، أو العامل المسبب للمرض ضعيف في بدنه، لكنه حامل له.

والشخص الحامل للمرض قد يكون ناقلاً للمرض لغيره؛ لذلك من حكمة الشريعة النهي عن الخروج من أرض الوباء لبلد أخرى وإن كان سليماً في الظاهر.

ثالثاً: هذا الهدي النبوي في التعامل مع الأمراض الوبائية جاء الطب الحديث بتأكيد، حيث إن الشخص قد يصاب بالمرض من خلال اتصال العوامل المسببة للمرض من بكتيريا وفيروسات أو طفيليات بإنسان صحيح وإحداثه الأثر المرضي، لكن المرض في الواقع لا يحدث إلا ضمن شروط معينة يجب توفرها.

وتنتقل العوامل المسببة للمرض من مكنها إلى الإنسان إما مباشرة من إنسان مريض أو حامل له إلى مستعد للعدوى، أو بشكل غير مباشر عن طريق الماء أو الغذاء أو الأغراض الملوثة، أو بواسطة الحشرات.

كما يشترط لإصابة الصحيح بالمرض وجود عوامل بيئية مناسبة تزيد من نسبة إصابة الشخص به، ومن ذلك استعداد البدن لقبول ذلك العامل الممرض، فقد يكون الجسم منيعاً لا يتأثر بفعل جرثوم ما، ولو تحققت كل الشروط السابقة، فمن المعلوم أن البدن يكافح العوامل الممرضة .

وهكذا إذا تم انتقال العوامل المسببة للمرض من بكتيريا أو فيروس أو طفيل، ووجدت البيئة الحاضنة له، ولم تكن مناعة الجسم كافية، وتمكن من النمو والتكاثر في البدن فإن المرض يحدث، فيقوم البدن بوسائله الدفاعية للمقاومة، فإذا كانت النتيجة النهائية بانتصار مقاومة البدن كان الشفاء بإذن الله، وإذا كانت للعامل المسبب للمرض كان استمرار المرض وتفاقمه والذي قد يفضي لهلاك البدن إذا قدر الله. فحدوث المرض أو عدم حدوثه يرجع لعوامل عدة وهذه جوانب لا يعلمها إلا الله، ولا يقدر عليها أحد سواه. لذلك فإن الهدي النبوي في التعامل مع الأمراض الوبائية سبق العلم الحديث في بعض حقائقه .

الحجر الصحي

الوقاية

اجتناب
مواطن
الوباء

الابتعاد عن الوسط الذي تنتشر فيه الأمراض الوبائية،
والحذر من مخالطة المرضى الذين جرت العادة بإذن
الله أن مرضهم قد ينتقل بالمخالطة .



التغذية
السليمة
والتداوي

التغذية السليمة، والتداوي للوقاية من المرض أو
علاجه وفي الحديث الصحيح " :تداووا، عباد الله فإنَّ
الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاءً . " رواه أبو داود



طهارة
المكان

طهارة البيئة المحيطة والمكان وقد جاء في الحديث
الحسن: " طهروا أفنيتمكم فإنَّ اليهود لا تُطهَّرُ أفنيَّتَها . "
رواه الترمذي.

فالإسلام يحث على طهارة ما يحيط بالبيت فكيف
بطهارة البيت وما يكون فيه من فرش وأثاث.



طهارة
البدن

على المؤمن حال نزول الوباء مع اتخاذ الأسباب
المشروعة للوقاية من الأمراض، الحرص على النظافة
الشخصية كما حث على ذلك الهدي النبوي؛ ففي
الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم:
" الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ . " رواه مسلم.



وبالإضافة لكل ما سبق، عليه أن يلجأ الى الله بالدعاء أن يجنبه الأمراض ويمن عليه بالصحة والعافية، وقد جاءت السنة بأدعية عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .ومن الأدعية التي دعا بها النبي –

صلى الله عليه وسلم :- «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال، والأهواء والأدواء» رواه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي

ودعائه -صلى الله عليه وسلم :-«أعوذ بك من الصَّمَمِ والبَكَمِ، والجنون والجذام، والبرص وسيئ الأسقام» رواه الحاكم وصحَّحه ووافقه الذهبي.

ودعائه -صلى الله عليه وسلم -في أذكار الصباح والمساء: فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله يدع هؤلاء الكلمات إذا أصبح وإذا أمسى «اللهم إني أسألك العفو والعافية في دنياي
وديني، وأهلي ومالي، اللهم استر عورتِي، وأمن روعتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي" رواه أبو داود والحاكم وصحَّحه.

كما ينبغي عليه المحافظة على الأذكار التي حث عليها النبي صلى الله عليه وسلم ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ما من عبدٍ يقولُ في صباحِ كلِّ يومٍ ومساءً كلِّ ليلةٍ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ
شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثلاثَ مرَّاتٍ إلا لم يضرَّهُ شيءٌ . صححه ابن القيم في زاد المعاد.

وجاء رجلٌ إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسولَ اللهِ! ما لَقِيتُ من عقربٍ لدَعْنَتِي البارحةَ . قال: " أما لو قلتَ، حينَ أمسيتَ :أعوذُ بكلماتِ اللهِ التاماتِ من شرِّ ما خلقَ، لم تضرْكُ " رواه مسلم.

المواظبة على
الذكر والدعاء

